المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 17 -- العدد 01 -- جوان 2025 ص 198 - 220

تجربة المؤسسات الثقافية في ترميم الممتلكات الثقافية ـ مديرية الثقافة لولاية الجزائر نموذجا ـ

The experience of cultural institutions in the restoration of cultural properties - The Directorate of Culture for the wilaya of Algiers as a model -

شناوي عبد الحميد - أستاذ محاضر ب Abdelhammid.chenaoui@univ-sba.dz	علم الأثار	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس - الجزائر

DOI :

الإرسال: 2025/04/09 **القبول**: 2025/05/12 **النشر**: 2025/06/19

ملخص:

إن حماية وحفظ التراث الثقافي المادي على اختلاف أنواعه من الزوال والاندثار، يعتبر اليوم من أولويات البحث الأثري في كل دول العالم تقريبا، لأن هذا الموروث يعتبر شاهدا على تطور الفكر البشري خلال مختلف المراحل التاريخية التي مر بها الانسان، وهو الشاهد المادي الذي يبعث الأمل في ربط أجيال الماضي بالحاضر والمستقبل.

ان حماية التراث لا تكون الا بتكاتف الجهود بين الفاعلين في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمؤسسات أو الأفراد، ومن أجل ذلك تسعى الدول الى سن قوانين وتشريعات تهتم بتنظيم هذا الأمر، وتحفز وتنشط المجتمعات على الاهتمام بتراثهم الذي يعتبر همزة وصل بين ماضي أجدادهم ومستقبل أحفادهم.

وسنجد في هذا المقال تجربة مؤسسة ثقافية جزائرية في مجال ترميم المعالم الأثرية في الجزائر وكيفية الانتقال من معلم في حالة تلف الى معلم مجدد قابل للاستغلال.

الكلمات مفتاحية: تراث؛ ممتلكات ثقافية؛ معالم أثرية؛ حفظ؛ ترميم.

Abstract:

The protection and preservation of material cultural heritage of all kinds of disappearance and extinction is one of the priorities of archaeological research in almost all countries of the world today, because this heritage is a witness to the development of human thought during the various historical stages that man has gone through, and it is the material witness that gives hope to link the generations of the past to the present and the future.

This heritage can only be protected by joining efforts between the actors in this field, whether it comes to institutions or individuals, and for this, countries seek to set laws and legislation concerned with organizing this matter, and stimulates and stimulates societies to pay attention to their heritage, which is a link between the past of their ancestors and the future of their grandchildren.

المؤلف المراسل: شناوي عبد الحميد **البريد الإلكتروني**:Abdelhammid.chenaoui@univ-sba.dz

In this article, we will find the experience of an Algerian cultural institution in the field of restoring archaeological monuments in Algeria and how to move from a teacher in a state of damage to a renewed teacher that can be exploited.
Keywords: Heritage; cultural property; archaeological features; preservation; restoration

مقدمة:

ان الحديث عن التراث الثقافي اليوم في خضم هذا العصر، أصبح بمثابة الحديث عن مقومات الأمم وثوابتها، إذ اصبحت المجتمعات والدول تتسابق لإثبات هويتها من اجل ضمان مكانتها التاريخية، خاصة في ظل الصراعات الثقافية التي يشهدها العالم الحديث.

وتعتبر الجزائر من بين هذه الدول التي تسعى جاهدة من خلال مؤسساتها المختلفة، خاصة الثقافية منها الى التمسك بتراثها الثقافي، المعبر عن حضاراتها السابقة المرتبطة بالأفراد الجزائريين ومقوماتهم القديمة، وربط هذه الأخيرة مع متغيرات الحاضر، من أجل ايصالها أجيال المستقبل.

تزخر الجزائر بموروث ثقافي متنوع بين المادي واللامادي، بفضل تعاقب حضارات مختلفة منذ فترات ما قبل التاريخ، وهذا التنوع في حد ذاته ولد لنا الكثرة، وبالمقابل أصبح التراث معرضا لكثير من المخاطر (كالتخريب والتزييف وحتى السرقة)، وهذا راجع الى صعوبة توفير الحماية اللازمة، أين أصبح هذا التراث مهددا بالزوال خاصة في حال الإهمال مستمر والتغاضي قانونيا عن الكثير من السلوكيات اللامسؤولة من بعض الأفراد عديمي الروح الوطنية.

من أجل تفادي هذا وذاك خلقت الدولة الجزائرية مؤسسات قانونية وادارية، دورها الاول والأساسي حماية هذا التراث من كل أشكال الخطورة التي تحدق به سواء من داخل الوطن أو خارجه، فوضعت هذه المؤسسات ترسانة من القوانين والقرارات الصارمة في هذا الشأن، وعلى رأسها القانون 04-98 المتعلق بحماية التراث الثقافي الجزائري، مع فرض عقوبات صارمة على كل من تسول له نفسه التعدي على تراث الجزائر.

لكن وضع القوانين وتطبيقها فقط لا يكفي لحماية هذه الممتلكات الثقافية، خاصة المادية منها، اذ أن الكثير من المخاطر والمشاكل تنجم عن أسباب لا إرادية، أي خارج فعل الإنسان، وقد تكون بسبب الطبيعة والكوارث المرتبطة بها، مما يستدعي من الهيئات

المعنية، توفير تدخلات الحماية الدائمة للممتلكات الثقافية، مهما كانت الأسباب وتنوعت، ومن بين أهم هذه التدخلات **أعمال الصيانة والترميم**، اذ لا يمكن أن تطبق هذه الأخيرة الا عن طريق مؤسسات حكومية سيادية، تحترم وتطبق الشروط والمبادئ المنصوص عليها من طرف الهيئات الوطنية والدولية، مع ضرورة توفير امكانيات مادية وبشرية مصحوبة بتجربة مدروسة في هذا المجال.

لقد خصصت هذا المقال للخوض في موضوع دور المؤسسات الثقافية الجزائرية في حماية التراث الثقافي المادي الثابت من خلال تجربة مديرية الثقافة والفنون لولاية الجزائر في ترميم المعالم الأثرية، من أجل المحافظة عليها واعطائها نفسا جديدا لحياة أطول، علما أن لهذه المديرية عدة تجارب في هذا المجال، اخترنا منها اثنين، كعينة دراسة في هذا المقال.

ان اختياري لهذا الموضوع يرجع الى تجربتي الشخصية في هذا المجال، كموظف سابق بمديرية الثقافة لولاية الجزائر، كملحق بالحفظ بمصلحة التراث بذات المديرية، اذ التمست العمل الكبير الذي تقوم به هذه المؤسسة ومدى نجاعة تجربتها الميدانية في مجال ترميم المعالم الأثرية، محاولا مشاركة هذه التجربة العلمية مع عامة الباحثين في مجال علم الآثار، واخراج هذه التجربة من طابعها الاداري الى طابع البحث العلمي من جهة، والاشارة الى مجهودات هذه المؤسسة واطاراتها في السهر على حماية التراث الجزائري من جهة أخرى.

احتراما لمنهجية البحث حددنا لهذا الموضوع الاشكالية العامة الآتية:

- فيما يتمثل دور المؤسسات الثقافية من أجل حماية الممتلكات الثقافية المادية؟

ويمكن ادراج بعض التساؤلات الفرعية التي تصب في مضمون الاشكالية الرئيسية كالتالي:

- ما هي الممتلكات الثقافية المادية؟

- من هي المؤسسات الثقافية المهتمة بحماية التراث الثقافي؟

- كيف يمكن تقديم تجربة من تجارب هذه المؤسسات في ترميم المعالم؟

للإجابة عن هذه الاشكالية والتساؤلات المطروحة، حاولنا تقسيم هذا المقال الى جزأين، الأول نظري تطرقنا من خلاله الى مفاهيم عامة حول الممتلكات الثقافية المادية، وكذا المؤسسات الثقافية المهتمة بترميم هذه الممتلكات، مع تقديم شرح بسيط عن الترميم حسب ما جاء في أهم المواثيق الدولية والوطنية، معتمدين في ذلك المنهج الاستقرائي.

خصص الجزء الثاني من المقال الى العمل التطبيقي، المتمثل في تجربة مديرية الثقافة لولاية الجزائر في ترميم مَعلَمَين تاريخيين أثريين، الأول هو جامع سيدي رمضان بقصبة الجزائر والثاني قنطرة قناة عين الزبوجة بحيدرة، معتمدين في ذلك عل المنهج التجريبي خاصة في عرض تدخلات الترميم التي طبقت على المَعلَمَين.

- أولا: مفاهيم عامة: وهو الجانب النظري الذي حاولنا من خلاله شرح مكونات عنوان المقال شرحا بسيطا، الغاية منه فهم الموضوع والعلاقة بين هذه المصطلحات:

I- الممتلكات الثقافية المادية :

يعود استعمال هذا المصطلح لأول مرة الى اتفاقية لاهاي سنة 1954 (الرهايفة، 2012، صفحة 55)، ويقصد بها ""الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعمارية أو الفنية منها أو التاريخية، الديني منها أو الدنيوي، والأماكن الأثرية، ومجموعات المباني التي تكتسي بتجمعها قيمة تاريخية أو فنية وكذا المباني المخصصة بصفة رئيسية وفعلية لحماية وعرض الممتلكات الثقافية المنقولة كالمتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات"" (اتفاقية لاهاي، 1954)

لقد تبنت كثير من الدول والمنظمات العالمية هذا المصطلح (الممتلكات الثقافية) في نصوصهم القانونية وتوصياتهم الخاصة بحماية التراث والآثار، ونذكر من ذلك المادة 02 من القانون 04-98، المتعلق بحماية التراث الثقافي، المؤرخ في 15 يونيو 1998، الجريدة الرسمية رقم 44 مؤرخة في 17 يونيو سنة 1998، والذي عرفه على أنه "" يعد تراثا ثقافيا للامة، جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، والمنقولة الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والاقليمية الوطنية الموروثة من مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ الى يومنا هذا"" (القانون 04_98، 1998، صفحة 04).

تتشكل الممتلكات الثقافية العقارية مما يأتي:

(- المعالم التاريخية - المواقع الأثرية - المجموعات الحضرية أو الريفية.)

نقتصر في بحثنا هذا على تعريف **المعالم التاريخية** لأنها عينة دراستنا، وقد جاء تعريفها في القانون 04-98 في المادة 17 على أنها: "" أي انشاء هندسي معماري منفرد أو مجموع، يقوم شاهدا على حضارة معينة أو على تطور هام أو حادثة تاريخية، والمعالم المعنية بالخصوص هي المنجزات المعمارية الكبرى، والرسم والنقش والفن الزخرفي والخط العربي، والمباني والمجمعات المَعلَميَة الفخمة، ذات الطابع الديني أو العسكري أو المدني أو الزراعي أو الصناعي، هياكل عصر ما قبل التاريخ والمعالم الجنائزية أو المدافن، المغارات، الكهوف، اللوحات، الرسوم الصخرية، النصب التذكارية والهياكل أو العناصر المعزولة التي لها صلة بالأحداث الكبرى في التاريخ الوطني (القانون 04_98، 1998، صفحة 6).

II- المؤسسات الثقافية الجزائرية المهتمة بترميم المعالم الأثرية :

ان المؤسسات المهتمة بحماية الممتلكات الثقافية الجزائرية كثيرة، لكننا فضلنا في هذا العنصر الاشارة الى المؤسسات التي لها علاقة بمجال ترميم المعالم الأثرية فقط، وهذا تماشيا مع موضوع بحثنا، ويمكن أن ندرج أهمها فيما يلي:

01-الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة ANSS:

ظهر مصطلح القطاعات المحفوظة في الجزائر ضمن المادة 08 من القانون 04-98 الخاص بحماية التراث الثقافي، إذ أشار الى أن الاستحداث في شكل قطاعات محفوظة، هو أحد أنظمة الحماية للممتلكات الثقافية العقارية في الجزائر.

أنشأت الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة بموجب المرسوم التنفيذي رقم 11-02 المؤرخ في 05 جانفي2011، وقد كانت انطلاقة الوكالة الفعلية ابتداء من ماي 2013 مع صدور القرار الوزاري المشترك في 28 أفريل 2013 والذي يحدد التنظيم الداخلي للوكالة وملحقاتها (القطاعات المحفوظة في الجزائر، 2022)

وهي مؤسسة تعمل على حماية التراث الثقافي المعماري، تسهر على تنفيذ المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات، وذلك في 27 قطاع محفوظ على المستوى الوطني، بهدف الحفاظ، وحماية وتثمين القيمة التاريخية والعمرانية والمعمارية والجمالية لهذه المعالم (الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة: حماية التراث عبر 27 قطاع محفوظ على المستوى الوطني، 2021).

من المهام الأساسية للوكالة فيما يخص ترميم المعالم الأثري ما يلي (روشو و بوط، 2022، صفحة 1002):

- ضمان تنفيذ المخطط الدائم لحفظ القطاعات المحفوظة.

- برمجة تنفيذ عمليات الحفظ والترميم والتثمين المنصوص عليها في المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة.

- العمل على تطابق الدراسات والاشغال المتصلة بترميم الممتلكات الواقعة في القطاع المحفوظ.

02- الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية OGEBC (عايدة، 2024، صفحة 91):

هو مؤسسة ثقافية ذات طبيعة تجارية تحت وصاية وزارة الثقافة، أنشأ في 01 يناير 2007 بعد تحويل الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمعالم التاريخية، الناشطة منذ 1987، وهذا ضمن المرسوم رقم 05-488 المؤرخ في 22 ديسمبر 2005، المكمل بالمرسوم التنفيذي رقم 12-89 المؤرخ في 28 فبراير 2012 المحدد لمهام الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، ومن بين أهم هذه المهام فيما يخص ترميم المعالم الأثرية ما يلي:

- ضمان صيانة وحفظ الممتلكات الثقافية المحمية.

- ضمان مهام أصحاب المشاريع المفوضين فيها فيما يخص القيام بالدراسات وانجاز مشاريع الترميم الخاصة بالممتلكات الثقافية المحمية.

03-مديرية حفظ التراث الثقافي وترميمه:

جاء ضمن المرسوم التنفيذي رقم 05-80 المؤرخ في 17 محرم 1426 هـ الموافق ل 26 فبراير 2005، المتضمن تنظيم الادارة المركزية في وزارة الثقافة، في الجريدة الرسمية رقم 16 سنة 2005 على أنها: وهي مديرية مركزية بوزارة الثقافة والفنون الجزائرية، نشأة بمرسوم تنفيذي رقم 05-80 مؤرخ في 17 محرم 1426 هـ الموافق ل 26 فبراير 2005، وهي مكلفة بإعداد مخططات وبرامج حفظ التراث الثقافي وترميمه والسهر على انجازها، وهذا بإشراف المديرية الفرعية لحفظ الممتلكات الثقافية العقارية وترميمها، المكلفة كذلك باقتراح مشاريع برامج

ومخططات حماية وتثمين المواقع والمحميات الأثرية، والمخططات العامة لتهيئة الحظائر الثقافية ومخططات حفظ القطاعات المحفوظة، ومراقبة كيفيات تنفيذها، كما تهتم بدراسة كل تدخل على الممتلكات الثقافية العقارية والفصل فيه (خاصة عمليات الترميم).

04- مديريات الثقافة:

تطرق اليها المرسوم التنفيذي رقم 94-414 مؤرخ في 19 جمادى الثانية عام 1415 الموافق 23 نوفمبر سنة 1994، يتضمن احداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها كالتالي:

أنشأت مديريات الثقافة بموجب المرسوم التنفيذي رقم 94-414 المؤرخ في 23 نوفمبر 1994 المتضمن إحداث مديريات الثقافة في الولايات ويحدد تنظيمها ومهامها، يسير مديرية الثقافة مدير، يعين بمرسوم تنفيذي بناء على اقتراح الوزير المكلف بالثقافة وتنهى مهامه بالطريقة نفسها، وتشكل كل مديرية ثقافة من 04 مصالح: مصلحة التراث الثقافي، مصلحة الفنون والآداب، مصلحة النشاطات الثقافية، مصلحة الإدارة والتكوين والتخطيط، ويمكن أن تضم كل مصلحة 03 مكاتب على الأكثر تبعا لجسامة المهام التي تضطلع بها.

وتكلف مديرية الثقافة فيما يخص حماية وترميم الممتلكات الثقافية فيما يلي:

- تسهر على حماية التراث والمعالم التاريخية او الطبيعية وعلى صيانتها والحفاظ عليها.
- تسهر على تطبيق التشريع في مجال المعالم والآثار التاريخية والطبيعية.
- تتابع عمليات استرجاع التراث الثقافي والتاريخي وترميمه.

III- مفهوم الترميم:

01- لغة:

كلمة ترميم مشتقة من الفعل رمَّ، ورمَّ الشيء أصلحه وقد فسد بعضه، جمع ما تفرق منه. رمَّ، رَمَمْتُ، يَرِمُّ، ارْمِمْ، رِمْ ورِمَّةً فهو رَمِيمٌ.

رمَّمَ، يُرَمِّمُ، تَرْمِيمًا فهو مُرَمِّمٌ، والمفعول مُرَمَّمٌ، رَمَّمَ المنزل القديم رَمَّهُ أي أصلحه وقد فسد بعضه، ويقال: ترميم الآثار (أحمد مختار ، 2008، صفحة 944_945).

02- اصطلاحا:

كلمة ترميم تطلق على الأعمال التي يقوم بها المرممون من أجل حماية مبنى أثري من الانهيار أو التلف، بالإضافة إلى إصلاح ما تلف من المقتنيات الفنية المختلفة (محمد عبد الهادي ، 1998، صفحة 20).

لم يقتصر تحديد مفهوم كلمة الترميم على الباحثين المهتمين بهذا المجال فقط، بل حتى الجهود الدولية والوطنية التي تضافرت للعمل على توحيد المعاني والأهداف التي ترمي إليها عملية الترميم، وهذا عن طريق تنظيم مؤتمرات ووضع اتفاقيات وقوانين تحمي الموروث الثقافي بكل أنواعه، وهذا بإنشاء مؤسسات ومنظمات دولية تسهر على متابعة تطبيق هذه القرارات (شناوي، 2023، صفحة 78)، سنقدم فيما يلي بعض ما جاء في الترميم عن أهم المواثيق الدولية:

أ- حسب ما ورد في ميثاق البندقية (Charte de Venise) 1964م (ابراهيم محمد ، 2013، صفحة 185):

كان أول ميثاق يقدم لأول مرة المبادئ الأساسية لصيانة وترميم الآثار القديمة كتراث عالمي، وقد ساهمت بنود هذا الميثاق في إحياء حركة دولية تهدف لتقنين حفظ الآثار، من خلال وثائق المجلس الدولي للمتاحف واليونيسكو والمركز الدولي لدراسة وحماية وترميم الممتلكات الثقافية، وباستعراض بعض فقرات هذا الميثاق نجده يتضمن الأسس التالية خلال فقراته كما يلي:

- الفقرة 02:

اشير في هذه الفقرة أن اللجوء للطرق العلمية الحديثة في ترميم الآثار، يكون قد سبق بتقنين هذه الطرق وإثبات كفاءتها ونجاحها من خلال تجارب عملية منشورة.

- الفقرة 09:

عرف الترميم بأنه عملية تكنولوجية عالية التخصص، يتم خلالها حفظ الآثار والكشف عن أصالتها وقيمتها التاريخية، مع الابقاء على المواد الأصلية والوثائق القديمة، كما نص على أن يكون الترميم مسبوقا متبوعا بالدراسات الأثرية والتاريخية.

- فقرة 12-15:

ناقشت موضوع الاستكمال للأجزاء الناقصة عند ترميم الآثار– واشترك أن يكون الإكمال مميز عن الأثر الأصلي-ويتم الاستكمال أو الإضافة بصورة لا تغير الشكل العام، وتكون متجانسة معه، كما نص على أن المواد المستخدمة لتجميع مادة الأثر، يجب ألا تكون لها آثار ضارة على مادته ،وتكون في أقل الحدود الممكنة لتعيد الأثر الى شكله الأصلي، كما تضمنت هذه الفقرة وجوب اتخاذ الوسائل العلمية للدراسة والكشف عن مضمون الأثر دون تشويه.

- الفقرة 16:

أقرت أن جميع أعمال الصيانة والترميم والتقنيات الأثرية، لا بد أن تتضمن التسجيل العلمي في صورة تقارير وصور فوتوغرافية تسجيلية.

ب- كما أصدرت اليونيسكو(منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة) في 26 نوفمبر 1976 توصية (ابراهيم محمد ، 2013، صفحة 186_187) **جاء في بنودها:**

- تعريف الترميم حسب الاتحاد الأوروبي للحفاظ على الممتلكات الثقافية ECCO 1993م:

« يتمثل الترميم في التدخل المباشر على القطعة الأثرية المتعرضة للتلف، سواء كان بدرجة متوسطة أو متدهورة، وذلك بهدف تسهيل قراءتها مع تفادي المساس بكمالها الجمالي، التاريخي أو الفيزيائي قدر المستطاع». وهو كنتيجة لمسار طويل في مجال الصيانة والترميم، إذ كان الهدف الأول هو صيانة وحفظ القطعة.

ثانيا: تجربة مديرية الثقافة والفنون لولاية الجزائر في حماية المعالم التاريخية من خلال ترميمها واعادة الاعتبار لها: وهي الجانب الميداني من الموضوع:

ان مدينة الجزائر من المدن العريقة التي تعاقبت عليها حضارات مختلفة، بداية من الفترة الفينيقية ، فالرومانية، فالوندالية، فالبيزنطية، ثم تعرضت للفتوحات الاسلامية أين مرت عليها الفترة الزيرية على يد بلكين بن زيري، ليجلب اليها قبيلة مزغنة الصنهاجية، لتدخل بعدها تحت حكم المرابطين، ثم الموحدين، وبعد ضعف الموحدين تعرضت للاحتلال من طرف الحفصيين، ثم خضعت المدينة لحكم الدولة الزيانية، ثم المرينية، وبعد كل هذا خضعت المدينة لحكم الثعالبة، أين تولى حكمها سالم التومي، وبعد الخطر الذي كان يهدد مدينة الجزائر من طرف الاسبان، استنجد هذا الأخير بالمجاهدين التركيين الاخوة خيرالدين وعروج، لتخضع المدينة للحكم العثماني وتلحق بالخلافة العثمانية (حاج سعيد، 2015، صفحة 2_3_4)، الى غاية سقوطها على يد الاستعمار الفرنسي في 1830م.

وبين تعاقب هذه الحضارات بنيت العديد من المعالم الأثرية في مدينة الجزائر، تعرضت في فترات زمنية سابقة الى التلف والتدهور بسبب الطبيعة من جهة، والاهمال والهجر بسبب قلة الاهتمام من جهة اخرى، مما استدعى ضرورة التدخل من اجل استرجاعها واعادة الاعتبار لها من خلال عمليات الترميم المسطرة من طرف الدولة الجزائرية عن طريق مؤسساتها، وعلى رأسهم وزارة الثقافة ممثلة خاصة في مديرية الثقافة لولاية الجزائر، ومن أجل عرض تجربة هذه المؤسسة ودورها الفعال في حماية الممتلكات الثقافية العقارية المتمثلة في ترميم العشرات من المعالم الأثرية، اخترنا لهذا الغرض مَعلَمَين (02)

تاريخِيين أثريَين يقعان بمدينة الجزائر العاصمة، مقدمين نبذة تاريخية عن كل معلم أثري، ومبينين بالصور كيف كانت هذه المعالم قبل الترميم وأثناءه، ثم كيف اصبحت بعد الترميم، وهي كالتالي:

I- تجربة ترميم جامع سيدي رمضان:

01- الجانب التاريخي والتصميم:

يقع في الزاوية المكونة من شارعي وزاري وسيدي رمضان، بحي سيدي رمضان بالقصبة العليا وكان يسمى قديما "" مسجد القصبة ""

يتميز هذا الجامع بموقعه الوعر داخل منطقة القصبة القديمة من جهة، وبتاريخ تشييده الذي سبق العهد العثماني من جهة أخرى، ولا توجد أية مراجع أو لوحات تذكارية تفيدنا بتاريخ تشييده (بن حموش و بلقاضي، 2007، صفحة 46)، ونسب الى أحد الصالحين الذي دفن في ذلك المكان وهو بسيدي رمضان (حاج سعيد، 2015، صفحة 106)، كما نجد من يرجح بناء هذا الجامع الى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر خلال الفترة الزيرية (EPS-SPA elmoudjahid , 2024) .

يغطى جامع سيدي رمضان بسطوح مضاعفة من القرميد يبلغ عددها تسعة، موضوعة عرضيا (بالتعامد مع الشارع)، وللمسجد شكل شبه مستطيل تنعطف جدرانه المتجهة من الجنوب الى الغرب في الجانب الخلفي من المسجد، وبداخل المسجد ثمانية عشر عمودا تتوزع على ثلاثة أروقة وتبعد بعضها عن بعض بمسافة ثلاثة أمتار، وفي جهة العرض يبلغ عدد صفوف العقود تسعة، وهي توافق بذلك عدد أسطح السقف، وللمسجد منارة مربعة الشكل، لكنها منخفضة وخالية من أي زخرفة ويمكن بلوغ سطحها العلوي بواسطة درج، متكون من خمسة واربعون درجة منخفضة وخمس درجات عالية.

وما يلاحظ وجوده على الواجهة باب غرفة "بويتة" يقوم فيعا الخطيب، وعين ماء عذب، وميضأة لا تنفتح على داخل المسجد، كما توجد غرفة صغيرة مظلمة ليس لها اي اتصال مع داخل المسجد، وتنفتح على الخارج بفتحتين صغيرتين، وتضم ضريح الولي سيدي رمضان (بن حموش و بلقاضي، 2007، صفحة 46)

02- أعمال الترميم:

علما أن هذه الأعمال تكون بعد انجاز دراسة مسبقة من طرف مكتب دراسات متخصص ومعتمد من طرف وزارة الثقافة، وتنجز على يد مؤسسة أشغال متخصصة في مجال الترميم، كل هذا تحت اشراف متخصصين من مصلحة التراث بمديرية الثقافة لولاية الجزائر، وحاولنا اختصار أهم التدخلات التي عرض لها هذا المعلم من أجل استرجاعه، فيما يلي:

أ- عمليات التلبيس:

- نزع طبقات التلبيس الاسمنتية الحديثة من على الجدران الخارجية، علما أن تلك الطبقة الاسمنتية تسبب الكثير من المشاكل للجدران خاصة التشقق والانفجار، وهذا بسبب طبيعة الاسمنت في التقلص والتمدد مع اختلاف درجات الحرارة، العكس تماما مع المواد الأصلية الطبيعية (ملاط) التي بنيت بها الجدران قديما والتي تعرف بالاستقرار والمحافظة على خصائها الفيزيائية (أنظر الصور 01_02).

صورة01: الجامع قبل نزع الطبقة الخارجية



صورة 02: الجامع أثناء نزع الطبقة الخارجية



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- نزع طبقات التلبيس القديمة الداخلية، بسبب تآكلها وتفتتها جراء الرطوبة الزائدة وطول مدة استعمالها، علما أن عملية النزع تمن على كل دران الجامع الداخلية (أنظر الصور 03_04).

صورة 03: الجدار قبل نزع الطبقة الداخلي



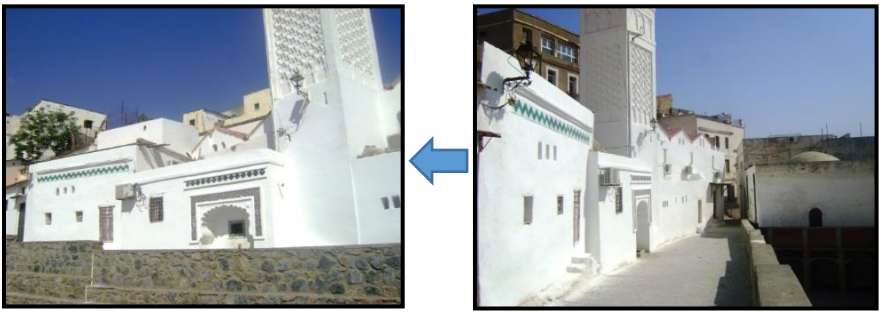
صورة 04: الجدار بعد نزع الطبقة الداخلية



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- اعادة تلبيس الجدران من الخارج بملاط جيري مثل الأصلي، وهذا مع احترام مؤسسة الأشغال لمقادير الملاط، المدروسة والمضبوطة مسبقا من طرف مكتب الدراسات، اذ يراعى في ذلك أن يكون الملاط مقاوما لتسرب المياه، ليتم بعد عملية التلبيس طلاء الجدران من الخارج باللون الأبيض (أنظر الصور 05-06).

صور 05_06: جدران الجامع من الخارج بعد اعادة تلبيسها وطلائها



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- اعادة تلبيس جدران الجامع من الداخل مع مراعات شكل العناصر المعمارية، ثم طلاء كل الجدران باللون الأبيض (أنظر الصور 07-08-09-10).

صورة 07: قاعة الصلاة قبل الترميم



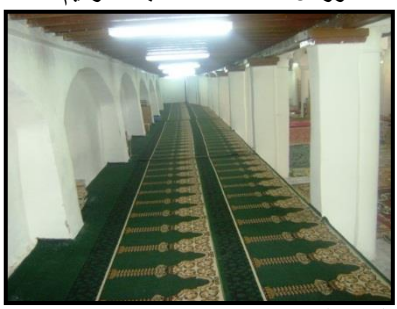
صورة 08: قاعة الصلاة بعد الترميم



صورة 09: قاعة الصلاة قبل الترميم



صورة 10: قاعة الصلاة بعد الترميم



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- اعادة تهيئة السقف من الخارج والداخل، وهذا بنزع قرميد السقف القديم والذي كان في حالة تلف كبيرة، جراء عملية ترميم غير مدروسة في فترة من الفترات السابقة، أين تم وضع طبقة من الاسمنت المسلح وضع فوقها القرميد بطريقة غير مناسبة، مما سمح بتسرب مياه الأمطار الى داخل الجامع، مسببا تلفا كبيرا على خشب السقف الداخلي، وكذلك على جدران الجامع مما جعلها تتشبع بالمياه، لتتحول هذه الأخيرة الى رطوبة داخلية تجعل من تشقق وتقشر الجدران أمرا سهلا، ومن أجل التخلص من هذ المشكل، قامت مؤسسة الأشغال بإنجاز اعمال العزل المائي بمادة الزفت ثم اعادة التسقيف بقرميد يتناسب مع طبيعة الجامع، ويكسبه قابلية أحسن في تحمل الظروف الجوية، خاصة الأمطار (أنظر الصور 11_12_13).

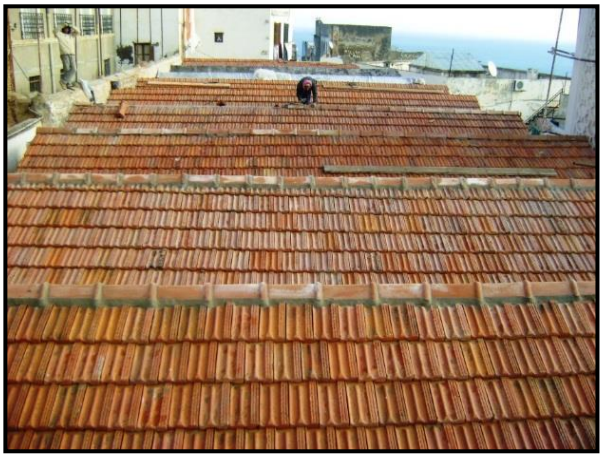
صورة 11: السقف قبل الترميم



صورة 12: السقف أثناء الترميم



صورة 13: السقف بعد الترميم



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- اعادة اصلاح وترميم العناصر الخشبية للجامع، السقف الداخلي واستبدال التالف منه بخشب مثل الأصلي، مع ترميم الأبواب الخارجية وتغيير التالفة منها (الغير أصلية) محترمين في ذلك شرط الجودة، مع اعادة طلاء الخشب بورنيش مقاوم للرطوبة والتقشر (أنظر الصور 14_15_16_17_18).

صورة 14: سقف الجامع الداخلي بعد الترميم



صورة 15: سقف الطابق العلوي للجامع بعد الترميم



المصدر: (عنمديرية الثقافة لولاية الجزائر)

صور 16_17_18: أبوب جامع سيدي رمضان بعد ترميمها (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)







- ترميم المربعات الخزفية، وهذا بتجديد المفقودة منها، شرط أن تكون من نفس الشكل والحجم، وتصنع هذه المربعات في ورشات متخصصة (أنظر صور 19_20)

صورة 19: المربعات الخزفية قبل الترميم



صورة 20: المربعات لخزفية بعد الترميم



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

II- تجربة ترميم قنطرة قناة عين الزبوجة:

01- الجانب التاريخي والتصميم:

تسمى قناة عين الزبوجة أو قناة واد حيدرة، نسبة الى موقعها في هذه المنطقة الحضرية بالجزائر العاصمة، وهي معلم مصنف وطنيا منذ جانفي 2008.

يعود تاريخ بناء القناة الى الفترة العثمانية بين عامي 1619 1639، على يد المدعو موسى الاندلسي، أحد اللاجئين الاندلسيين الذين فرو من الأندلس، بحثا عن ملجأ في المدن المغاربية، كانت قناة عين الزبوجة تخدم الجزء الشرقي من المدينة، وتزود القلعة مقر سلطة الوصاية بأعالي القصبة، انطلاقا من هضبتي بن عكنون ودالي ابراهيم (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, 2009, p. 15).

تعتبر قنطرة عين الزبوجة من الأعمال الفنية المعمارية القليلة الباقية، والتي يمكن أن تزودنا بإجابات فيما يتعلق بتقنيات بناء قنوات المياه في الجزائر خلال الفترة العثمانية، يبلغ ارتفاعها حوالي 12,5 مترا فوق قاع الواد، وطولها 83 متر (Kameche , 2015, p. 21) ولها مستويان متراكبان، مكونين من 14 قوس في المستوى العلوي، و 07 اقواس في المستوى السفلي، متوسط ارتفاع هذه الاقواس 3,4 متر وعرضها 2,3 متر، تم بناؤها من الطوب غير المنتظم الحجم، والمتصل بملاط الجير، ويوجد على سطح الجسر قناة فخارية قطرها بين 20 سم و25 سم، كما يظهر في البناء جذوع خشبية تعمل كقاعدة للجزء العلوي ومقاومة لصدمات الزلازل (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, 2009, p. 15)، ويبدو حسب المصادر أن هذه التقنية اعتمدت في البناء بعد الزلزال المدمر الذي اصاب مدينة الجزائر في سنة 1716 (Kameche ، 2015، صفحة 21).

مر هذا المعلم الأثري بمرحلتين من عمليات الحماية وهي كالتالي:

02- الأعمال الاستعجالية:

انطلقت هذه العملية تحت اشراف مديرية الثقافة والفنون لولاية الجزائر سنة 2009، أين تم فيها وكمرحلة أولى حماية الجسر من التلف السريع، في انتظار الانتهاء من اجراءات عملية الترميم النهائية، وهذا عن طريق تدعيم المعلم وتقويته بدعامات خشبية، تطبق على الأقواس التي يظهر عليها تلف وتشققات كبيرة (Direction de la culture de la wilaya d'alger, 2013, p. 04) (أنظر الصور 21_22).

صورة 21: أقواس المعلم قبل تدعيمها



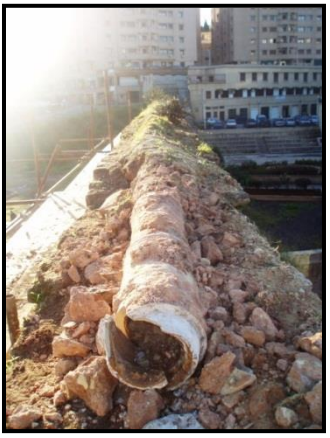
صورة 22: أقواس المعلم بعد تدعيمها



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

كما تم في نفس العملية حماية قناة المياه الفخارية الممدودة فوق الجسر، من خلال نزع كل الاتربة والحجارة الغير متماسكة التي كانت متراكمة فوقها، ثم تغطيتها بأنبوب بلاستيكي (PVC)، ليتم بعد ذلك تغطيتها بطبقة من ملاط جيري على شكل قبعة هرمية (Direction de la culture de la wilaya d'alger, 2013). (أنظر الصور 23_24)

صورة 23: القناة قبل حمايتها



صورة 24: القناة بعد حمايتها بطبقة من الملاط



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

02- أعمال الترميم النهائية:

انطلقت الأشغال سنة 2013، تحت اشراف مديرية الثقافة والفنون لولاية الجزائر، وكان أول تدخل على المعلم هو اعادة ارساء وتقوية الدعامات الأرضية، من خلال توسيع أساسات الجدار من 01,40 متر الى 01,60 متر، مما يجعلها أكثر قدرة على تحمل وزن

المعلم وتفادي اهتزازه (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, une restauration en deux temps, 2014, p. 162) ، (أنظر الصور 25_26).

صورة 25: قاعدة الجسر قبل توسيع الأساسات



صورة 26: قاعدة الجسر بعد توسيع الاساسات



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- من أجل حماية هذه الأساسات من سيول المياه والأمطار، تم انجاز منصة واقية عند ارضية الجسر بقاع واد حيدرة، يبلغ ارتفاعها حوال 0,40 متر، مبنية بحجارة جيرية عن طريق ملاط جيري، اذ تسمح طبيعة هذه الحجارة بتنفس أساسات المعلم وتفادي تشققها (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, une restauration en deux temps, 2014, p. 162) . (أنظر الصورة 27).

صورة 27: المنصة الواقية لأسفل الجسر



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- كما قام المرممون بأشغال نزع كل الاضافات والمواد التي تم ادخالها على الجزء السفلي من الجسر، خاصة الخرسانة المسلحة التي تم حقنها في الشقوق والفجوات خلال الفترة الاستعمارية وبعدها، وهذا لعدم توافقها مع المواد الأصلية التي بني بها المعلم.

- بعد الانتهاء من أعمال الاساسات، تم التوجه الى الجزء العلوي من المعلم، أين تم معالجة الشقوق التي تظهر على أقواس الجسر، ويعتبر هذا التدخل جد حاسم في عملية الترميم، ويستخدم فيه تقنية تسمى CUCCI-SCUCCI والتي تعني " الخياطة وفك الخياطة"، اذ يتم خلالها توسيع الشقوق حتى الوصول الى الأجزاء الداخلية الأصلية للجدار، ثم تملأ هذه الشقوق بالكامل بالملاط والطوب التقليدي الذي يشبه الأصلي المستعمل في بناء المعلم، اذ جلب هذا الأخير في هذه العملية من ورشة خاصة مختصة في صناعته بولاية بجاية (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, une restauration en deux temps, 2014, p. 163).

- بعد الانتهاء من ملأ كل الشقوق والفراغات الكبيرة، يتم تقوية واجهتي المعلم، عن طريق حقن ملاط سائل على مستوى كل الشقوق والتصدعات الصغيرة، مما يسمح بتوغل الملاط الى كل الفراغات والتجاويف الغير مرئية، ليتم بعد ذلك رش الواجهتين كذلك بالملاط السائل من أجل زيادة تماسك وترابط مواد البناء، ثم تأتي مرحلة التلبيس النهائية بواسطة ملاط أكثر صلابة وأقل تسريب للماء، من أجل حماية الجدران من دخول المياه اليها (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, une restauration en deux temps, 2014, p. 164) ، (أنظر الصور 28_29).

صورة 28: المعلم قبل تلبيس واجهته بالملاط



صورة 29: المعلم بعد تلبيس واجهته بالملاط



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

- في الجزء العلوي من القنطرة تم ترميم القناة الفخارية، بعد نزع طبقة ملاط الحماية التي وضعت خلال اشغال الاعمال الاستعجالية سابقا، وهذا من خلال وضع غطاء آخر أكثر متانة وصلابة، مشكل من الملاط الجيري، وهذا على طول خط القناة من أجل حمايتها من جهة، وحماية سطح الجسر من جهة ثانية، مع ترك نافذة صغيرة على النهاية اليسرى

للجسر مقاساتها 0,70 متر عرض، و0,80 متر طول، مصنوعة من الزجاج الصلب الشفاف، وهذا للتمكن من رؤية جزء حقيقي من القناة الفخارية للزوار (Benouis, Aqueduc de ain Zeboudja, une restauration en deux temps, 2014, p. 164) ، واحترام مبدأ من مبادئ الصيانة والترميم كذلك والمتمثل في وضوح التدخلات. (أنظر الصور 30_31).

صورة 30: مظهر أمامي للقناة بعد ترميمها



صورة 30: مظهر جانبي للقناة بعد ترميمها



المصدر: (عن مديرية الثقافة لولاية الجزائر)

خاتمة:

ان ما تزخر به الجزائر من ممتلكات ثقافية عقارية مرتبطة ارتباطا وثيقا مع تاريخها ومجتمعاتها، يمكن أن يجعل منها وجهة سياحية عالمية بامتياز، ولتحقيق هذا المبتغى وجب على المؤسسات الثقافية الجزائرية بذل المزيد من المجهود في سبيل حماية هذا التراث من الاندثار، سواء تعلق الامر بالممتلكات التي هي في حالة جيدة من خلال توفير الجو اللائق لديمومة بقائها، أو بالنسبة للتي هي في حالة تلف وتدهور، اذ يتوجب ترميمها واعادة بعث الحياة فيها، مع ضرورة توفير الآليات المناسبة لاستغلال هذا التراث وجعله مصدر تنمية للجزائر، ويمكن تقديم بعض التوصيات التي من شأنها أن تدفع بممتلكاتنا الثقافية أن تكون دائما في الطليعة، مع ضمان حمايتها والمحافظة على بقائها:

- جرد الممتلكات الثقافية العقارية في الجزائر مع تقديم عرض حال عن كل ممتلك.
- تقديم استقلالية للمؤسسات الثقافية في مجال صيانة وترميم الممتلكات الثقافية العقارية.
- التسريع في انطلاق أعمال الترميم الاستعجالية للمعالم التاريخية الأثرية الى غاية انطلاق الأعمال النهائية.
- ضرورة حماية الممتلكات المرممة حتى لا تعود الى حالتها الأولى، من خلال اعادة استغلالها وتفادي هجرانها.
- التطبيق الصارم لقوانين الدولة في حق كل المخالفين والمتسببين في تلف الممتلكات الثقافية المادية الثابتة.
- اعادة النظر في صرامة بعض القوانين وتجديدها في أقرب وقت، تماشيا ومتغيرات الزمن الحالي، علما أن هذا الامر من أولويات وزارة الثقافة والفنون حاليا.
- ضرورة التوعية والتوجيه داخل المجتمع الجزائري في خصوص الشعور بالانتماء لهذا التراث وضرورة المحافظة عليه.

قائمة المراجع:

-اتفاقية لاهاي. (14 ماي, 1954). حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح. حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح. لاهاي، هولندا: اليونيسكو (الامم المتحدة).

-القانون 04_98. (17 جوان, 1998). حماية التراث الثقافي. (44). الجزائر، الجزائر: الجريدة الرسمية للحكومة الجزائرية.

-القطاعات المحفوظة في الجزائر. (2022). تم الاسترداد من الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة: https/anss/secteurs.sauvegardes

-الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة: حماية التراث عبر 27 قطاع محفوظ على المستوى الوطني. (14 ماي, 2021). تاريخ الاسترداد 06 افريل, 2025، من وكالة الأنباء الجزائرية: https://www.aps.dz/ar/culture/106444-27

-جمال روشو، و سفيان بوط. (01 جوان, 2022). حماية العقار الثقافي من خلال مختلف المخططات الواردة ضمن قانون حماية التراث الثقافي، قراءة في القانون 04.98. المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، 07(01)، صفحة 990_1004.

-سلامة صالح الرهايفة. (2012). حماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة (الإصدار 01). عمان، الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع.

-عبد الحميد شناوي. (2023). ترميم الجرار الفخارية المستخرجة من الحفرية _ حفرية تازا نموذجا_ (أطروحة دكتورة علوم في الصيانة والترميم). معهد الآثار، الجزائر: جامعة ابو القاسم سعد الله _ الجزائر 02_.

-عبد الله ابراهيم محمد . (2013). مبادئ ترميم و حماية الآثار. القاهرة، مصر: دار المعرفة الجامعية.

-عمر أحمد مختار . (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة (الإصدار 01، المجلد 02). القاهرة، مصر: عالم الكتاب.

-محمد حاج سعيد. (2015). مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها، دورها، وعمارتها،(مذكرة لنيل شهادة الماجستار في الحضارة الاسلامية). كلية العلوم الاسلامية، الجزائر: جامعة بن يوسف بن خدة _ الجزائر 01_.

-محمد محمد عبد الهادي . (1998). دراسة علمية في ترميم وصيانة الآثار غير العضوية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

-مصطفاوي عايدة. (07 جانفي, 2024). المؤسسات العمومية المكلفة بحماية التراث الثقافي العقاري في الجزائر. مجلة القانون العقاري، 11(01)، صفحة 89_106.

-مصطفى بن حموش، و بدر الدين بلقاضي. (2007). تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط البير ديفولكس. الجزائر: دار موفم للنشر.

-Benouis, F. (2009, 05). Aqueduc de ain Zeboudja. revue athar(08), pp. 15-16. Récupérésur http://soummam.o.s.f.unblog.fr/files/2009/05/aspabulletinn8mai2009.pdf

-Benouis, F. (2014). Aqueduc de ain Zeboudja, une restauration en deux temps. revue IKOSIM, 1(3), pp. 159-165. Récupéré sur https://doi.org/10.3917/ikos.003.0159

-Direction de la culture de la wilaya d'alger. (2013). projet de restauration de l'aqueduc du val d'hydra,. expertise préliminaire et travaux d'urgence. ALGER, service du patremoine, ALGERIE.

-EPS-SPA elmoudjahid . (2024, 03 19). La mosqée sidi ramdane: Un des symboles de l'antique médina. journal elmoudjahid. Consulté le 04 6, 2025, sur https://www.elmoudjahid.com/fr/dossier/la-mosquee-sidi-ramdane-un-des-symboles-de-lantique-medina-215153

-Kameche , d. (2015, 12 01). alger à l'époque ottomane XVIe-XIXe siécles. revue des Etudes Historiques, 16(02), pp. 13-23.